عمل تأليفي لرسالة الغفران

القضايا المطروحة في رسالة الغفران:

حمّل المعرّي رسالة الغفران بعض القضايا التي شغلته وعبّر عن بعضها في اللزوميّات، و قد كانت رسالة ابن القارح أشبه ما تكون بالقادح الذي جعله يتطرّق إلى هذه القضايا بأسلوب مبطّن ظاهره هزل وإمتاع وضحك وباطنه مواقف من بعض المسائل وبكاء لما آل إليه مآل العقيدة وتحطيم لبعض الأصنام التي خلقتها العامّة في أذهانها.

القضايا الأدبيّة:

اتخذ المعرّي من كتابة الرّسالة مطيّة للتعبير عن مواقفه إزاء بعض القضايا التي تمسّ الأدب والشّعر خاصّة فأبان عن ازدرائه لمسألة التكسّب بالشّعر وإراقة ماء الوجه لقاء عطيّة تعطى أو هديّة تهدى يقول مثلا على لسان إبليس معلّقا على قول ابن القارح «أنا فلانُ ابن فلانٍ من أهل حَلَبَ كانت صناعتي الأدب أتقرّب به إلى الملوك، فيقول: بئس الصّناعة، إنّها تَهَبُ غفّة من العيش، لا يتّسع بها العيال، و إنها لمزلّة بالقدم وكم أهلكت مثلك...»[1]. كما يبين المعرّي عن موقفه من قضيّة الانتحال في الشّعر يقول على لسان آدم وقد أصرّ ابن القارح على نسبة بعض الأبيات من الشّعر إليه رغم رفضه: «آليت ما نطقت هذا النّظيم، ولا نُطقَ في عصري وإنّما نظمه بعض الفارغين...»[2]. إضافة إلى هذين الموقفين يتجلى موقف المعرّي كذلك من مسألة المبالغات المشطّة في الشعر فها نحن نجد صخرا قد أخذ بذنب أخته نتيجة مبالغتها فكان مثواه النّار المشتعلة في رأسه تجسيدا لمقولة فيه، أمّا الحطيئة وهو المعروف بقبح الألفاظ ومعاني الهجاء فقد نال صكّ التوبة بفضل بيت صدق قاله في حياته وهجا به نفسه.

القضايا الإجتماعيّة:

شهد القرن الخامس للهجرة ترفا بالغا في المطعم والملبس والمسكن وانتشر اللهو الذي بلغ أحيانا حدّ التهتّك والمجون والاستهتار والملاحظ أنّ الثروات لم تكن موزّعة توزيعا عادلا بين فئات المجتمع فرجال الدّولة وبعض المترفين كانوا يعيشون حياة الرّخاء والإسراف وكان أغلب النّاس يعيشون حالة من الفقر والفاقة وقد انعكست هذه الطّبقيّة في رسالة الغفران فنجد زهير بن أبي سلمى مثلا يسكن قصرا في الجنّة في حين أنّ الحطيئة وهو من قاطني الجنّة أيضا «رجل ليس عليه نور سكّان الجنّة وعنده شجرة قميئة ثمرها ليس بزاكٍ» [3]. كما رسم المعرّي تكالب الناس على الشهوات دون أن يردعهم رادع أو يصدّهم خلق فإذا بمجالس اللهو والطرب منتشرة والمتع الحسّية مطلوبة مقابل الإعراض عن المتع الفكريّة وها نحن نجد ابن القارح في الرّسالة يقمع حاجته لمعرفة أشعار الجنّ والإطّلاع عليها مخافة تضييع بعض الفرص السانحة لإشباع غريزته وحواسّه.

2 - مصادره:

أ) النص الديني : القرآن والحديث :

إن كثيرا من الصور الخيالية العجيبة الواردة في ثنايا نص الرحلة مستلهمة من القرآن الكريم؛ فعروج كلم رسالة ابن القارح مستوحى من قوله تعالى: "إليه يصعد الكلم الطيب..." (فاطر/ 10)، وتحول كل كلمة إلى شجرة في الجنة مأخوذ من قوله تعالى: "ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة..." (إبراهيم/ 24)، ووصف أنهار الجنة مستمد من قوله تعالى: "فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى..." (محمد /15). والمعجم المستعمل في نص المعري معجم قرآني (الرحيق المختوم ، أنهار من عسل مصفى ...).

ومنها ما استقاه خيال المعري من الحديث النبوي كوصف شجر الجنة بأنه أجمل في العين من ذات أنواط، وهي شجرة جاء ذكرها في حديث نبوي: "وقد روي أن بعض الناس قالوا: يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط ...".

ب) الشعر : في نص الرحلة شعر كثير من عصور أدبية مختلفة وله في الرحلة وظائف متعددة منها أنه مرجع للمادة القصصية التي يتألف منها نص الرحلة. فقد استوحى المعري من الشعر مشاهد خيالية كثيرة كمشهد احتذاء ابن القارح فِعال الكندي مع الجارية التي خرجت من الثمرة : "فقمت بها أمشي تجر وراءنا على إثرنا أذيال مرط مرحل." (مرط هو الثوب)

ومنها أنه ملهم لخيال المعري في بناء الصور، كصورة سحاب الجنّة: "ويعرض له - أدام الله الجمال ببقائه - الشوق إلى نظر سحاب كالسحاب الذي وصفه قائل هذه القصيدة (حائية عبيد بن الأبرص) في قوله : "دان مسفّ فُوَيْقَ الأرض هيْدَبُه يكاد يدفعه من قام بالرَّاح"

+216 46 272 422

ج) الأخبار و القصص و المعتقدات والخرافات : من الأخبار التي انتقاها المعري من مصادر مختلفة خبر الأعشى الذي صدته قريش عن الوصول إلى النبي لإعلان إسلامه، وخبر حسان الذي خاض في حديث الإفك فجلده رسول الله - صلى الله عليه و سلم -، و خبر الأخطل مع يزيد بن معاوية... وكقصة أسد القاصرة الذي افترس عدو رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عتبة بن أبي لهب استجابة لدعاء النبي: "اللهم سلط عليه كلبا من كلابك"، و قصة ذئب الأسلمي الذي أنبأ راعيا يقال له الأسلمي بظهور النبي - صلى الله عليه و سلم - فدعا له رسول الله فأدخله الجنة.

ومن الخرافات التي وظفها المعري في بناء نص الرحلة خرافة شجر الحور الذي يقال أنه يوجد في جزيرة الواق واق: "فيأخذ سفرجلة أو رمانة أو تفاحة... فيكسرها فتخرج منها جارية حوراء...".

ومن المعتقدات معتقد صكوك الغفران الذي يروج الشيعة والنصارى أنها إذا دفنت مع الميت حملها معه يوم الحشر ليضمن حقه في الغفران ودخول الجنة ...، كما روجوا فكرة تدخل آل البيت لفائدة أوليائهم لإنقاذهم من أهوال الحشر وعبور الصراط ...، فابن القارح عبر الصراط على ظهر جارية من جواري فاطمة الزهراء ودخل الجنة بجذبة من إبراهيم ابن الرسول عليه السلام ...

- تقنيات الخيال:

استخدم المعري تقنيات متنوعة لإنتاج صور ومشاهد خيالية، ونذكر منها على سبيل المثال لا الحصر :

أ - التركيب: وهو تركيب صورة خيالية من عنصرين واقعيين: أنهار من لبن، قصر من در، خلية نحل من جوهر، كثبان عنبر ...

ب - التحويل: و يشير إليه المعري بفعل التحويل صار أو ما في معناه. فالأعشى صار عشاه حورا معروفا، وتوفيق السوداء قال لها ابن القارح: صرت أنصع من الكافور، والإوز ينتفضن فيصرن جواري كواعب ... ويسميه بعض الدارسين خيال القلب أي نقل الشيء من حالة إلى ضدها، وقد يكون التحويل نقل الكائن من الموت إلى الحياة، كطاووس الجنة الذي يؤكل ثم تنضم عظامه بعضها إلى بعض ثم تصير طاووسا كما بدأ ...

ج - التجسيد: تحويل المعنوي إلى مادي ملموس، فقد حول خيال المعري كثيرا من الصور الشعرية التخييلية إلى مشاهد حسية مرئية، فصخر الذي رثته أخته الخنساء بقولها : "كأنه علم في رأسه نار" نظر إليه ابن القارح في الجحيم فرآه "كالجبل الشامخ والنار تضطرم في رأسه ".

د - التضخيم: ويعني تكبير الصورة والخروج بها عن مقاييسها المعهودة، فالشجرة من شجر الجنة تأخذ من المشرق إلى المغرب بظل غاط، وغناء الجواري تهتز له أرجاء الجنة على اتساعها وحميد بن ثور يكون في مغرب الجنة فيرى صديقه وهو في مشارقها و"جرعة من فقاع الجنة لو عدلت بلذات الفانية منذ خلق الله السماوات والأرض إلى يوم تطوى الأمم الآخرة لكانت أفضل وأشفّ".

- البنية القصصية في رسالة الغفران :

- (بناء الرحلة) قيام القصّ على خمسة مقاطع :

المعراج - النزهة - المحشر - الجحيم - الجنّة يتسم المقطع الأول والثاني بالهدوء بينما يمثل موقف الحشر لحظة اضطراب، فكان وجوده متوسّطا ممّا أحدث بنية محكمة.

تماسك البنية الحدثيّة :

تماسك الأحداث وترابطها بفضل الحرّية التي منحها المعرّي للبطل كي يتنقل في فضاء المجهول "فإذا هما برجل يحتلب ناقة في إناء من ذهب"، "ويشرف على الجحيم فيطّلع فيري إبليس وهو يضطرب في الأغلال والسلاسل" ...، تبدو النزهة على غير منهج ولكنّها محكومة ببناء دقيق يحكمه طبيعة المكان.

1 - عناصر القص :

أ - المكان:

توزع بين المحشر والجنّة وجهنّم. وسم بالتدرج في الكشف عن ملامحه واتسامه بالغرابة والعجيب، عالم الغفران عالم عجيب غرائبي لا معقول: مفارق للعالم الأرضي مبالغة في وصف غرائبيّة المكان وجغرافيّته كثبان من عنبر، نوقه من ياقوت ودرّ، وصخوره من زمرّد، خمره وحليبه أنهار، سحابه ينثرُحصى من كافور.

+216 46 272 422

ب - الزمان :

التوفيق بين الزمن الخارجي والزمن القائم على الذاكرة لاسترجاع حياة كلّ شخصيّة:

- زمن إلهي مُطلق لا نهائي مُتحرّر من قيود النّسبيّة والمحدُوديّة "يومٌ مقداره خمسين ألف سنة"
- زمن لا يُؤثّر في الأشياء والشّخُوص "أنهار من لبن متخرّقات لا تُغيّر منها الأوقات"
- زمن ما بعد الموت، بعد الحياة الدّنيا زمن عجيب لم يدركه البشر بعد.

ج - الشخصيات :

- تعددت الشخصيات وتنوعت : (إنسانيّة، حيوانية، ملائكيّة)
- العلاقات بينها: تكامل: رضوان زفر / تباين النابغة الجعدي والأعشى / تماثل عوران قيس، توفيق السوداء وحمدونة الحلبيّة...
- كسر الحاجز الزمني بينها: اجتماع شخصيّات من مرجعيّات زمنيّة مُختلفة من ذلك الجاهلي، والأموي، والعبّاسي، وآدم.

- أدوات القص :

أ - السرد :

تنوعت أصناف السرد في الرّسالة فنجد السرد الآني وهو سرد في صيغة الحاضر يسرده راوي خفي له إحاطة تامّة بكلّ ما يجري من أحداث وإلمام شامل بكلّ الملابسات المادّية والنفسيّة التي تحفّ بالوقائع - يخطر له، يركب، ..... - يجعل القارئ يعيش الأحداث بالمشاهدة وهو سرد يوسع أفق التخيّل ويوفر مصادر المتعة - المفاجأة - وكذلك اللّواحق ووظائفها متعددة من بينها إلقاء الضوء على عنصر من عناصر الحكاية أو سدّ ثغرة في القصّ أوجعل الشخصيّة تسرد حكايتها بنفسها استجابة لسؤال "بم غفر لك؟." ويضطلع به الراوي الفرعي الغيري وهو راو يشارك في الأحداث ينقل مغامراته السّابقة ولكنّه يظل مهما انفصل تابعا لأفكار الكاتب محقّقا لرغباته الخفية يوجهه أنّى شاء وكيف شاء..

ب - الوصف :

براعة الوصف لرسم ملامح المكان العجائبي ورصد حركة الشخصيّات، كثرة التشابيه والاستعارات، غلبة الزخرف اللفظي واعتماد جمل موشاة بالبديع، كالسجع والمطابقة والجناس، الاقتراب من فنّ المقامة "وفي تلك الأنهار أوان على هيئة الطير السّابحة والغانية عن الماء السائحة" فللوصف دور هام في إحداث المتعة باعتباره يؤطّر الأحداث ويساهم في امتداد الأثر مكانيّا ويجسّد للمتقبل جماليات المكان.

ج - الحوار :

أكسب الحوار نص الغفران حيوية وواقعيّة فساهم في تطوير الأحداث باعتباره عنصر تواصل بين الشخصيّات فشخّصها أمامنا ناطقة بلسانها مدافعة عن مواقفها أو ساردة لأطوار من حياتها.

III - الاستطراد :

يُعتبر الاستطراد من أهمّ التّقنيات الفنيّة التي اعتمدها أبو العلاء المعرّي في "رسالة الغفران"، وليس الاستطراد من الظّواهر الفنيّة الجديدة، بل هو تقليد فنّيّ راسخ في الثّقافة العربيّة الإسلاميّة، وليس أدلّ على ذلك من كتابي "الإمتاع والمؤانسة" لأبي حيّان التّوحيديّ، و"الحيوان" للجاحظ، فكلاهما جمع بين مجموعة كثيرة من المواضيع والقضايا والظّواهر المعرفيّة والعلميّة والاجتماعيّة والدّينيّة، والاستطراد يعني "أنْ يجمع الكاتب بين مواضيع مختلفة في حديث واحد، وأنْ ينصرف من الموضوع الرّئيسيّ ليتناول الموضوع الفرعيّ، ويُسهب فيه إلى درجة تُنسي المتقبّل الموضوع الرّئيسيّ، وتُعطّل الاهتمام به". وأهمّ ما يُذكر بشأن الاستطراد في "الغفران" أنّه يُعطّل سير القصّة الرّئيسيّة، ويُهمّش البطل ابن القارح، ويُدخل المسرود له في مواضيع فرعيّة، فيطرح من خلالها مجموعة من القضايا التي تشغل المعرّي، وتثير أبناء عصره...

ـ وظائف الاستطراد في "رسالة الغفران":

تتعدّد وظائف الاستطراد في "رسالة الغفران"، مثلما تتعدّد وظائف أيّ نوع من أنواع الخطاب اللّغويّ، وذلك للعلاقة التي يُنشئها الخطاب بين المرسِل والمرسَل إليه والرّسالة، ويمكن تبعًا لذلك أنْ نتبيّن الوظائف التّالية:

أ ـ بالنّسبة إلى المرسِل: وهو كاتب "رسالة الغفران" ومنشئ الخطاب، والغايات التي يُحقّقها له الاستطراد عديدة، ومنها: إبراز براعته في إنشاء عالم قصصيّ متخيَّل، واستعراض محفوظه من الشّعر والقرآن، والقدرة على المساهمة بآرائه في القضايا الثّقافيّة والدّينيّة والاجتماعيّة، وتقزيم معارف ابن القارح، والسّخرية منه، وجعله في منزلة الجاهل المحتاج إلى التّعلّم منه، وتحقيق التّرفيه والاستمتاع والضّحك وإخراج نفسه من الجوّ القاتم لتلك العزلة التي فرضها على نفسه.

ب ـ بالنّسبة إلى المرسَل إليه: التّلاعب به

بطلاً (القصّ) والسّخرية منه برسم في مشاهد مهينة، وتحطيم أعصابه قارئًا (التّرسّل)، وتحقير معارفه، وتلقينه المعارف التي يجهلها ويدّعي امتلاكها، وإطماعه بالقدرة على الدّخول إلى الجنّة أحيانًا، وتخويفه من المصير، وتعسيره أحيانًا أخرى، وتزييف توبته، وإبطال إيمانه، وتحقيره وتهميشه، وفضح شهوانيّته.

ج ـ بالنّسبة إلى المسرود له (القارئ عامة): إمتاعه بنصّ قصصيّ طريف، وتنبيهه إلى حقيقة شخصيّة ابن القارح، وإقناعه بقدرات الكاتب المعرفيّة، وموسوعيّة ثقافته، والمساهمة في تكوينه، وإضحاكه، وتنبيهه إلى قضايا عصره.

4 ـ بالنّسبة إلى الرّسالة: المساهمة في جعلها رسالة طريفة جامعة بين الهزل والجدّ، والإمتاع والإفادة...

1 ـ أنواع الاستطراد في "رسالة الغفران":

أ ـ الاستطراد السّرديّ: أهمّ استطراد في الرّسالة، وفيه ينصرف السّارد عن سرد القصّة الرّئيسيّة المتعلّقة بابن القارح إلى سرد قصّة شخصيّة فرعيّة، وتكون هذه القصّة عرضيّة، ويمكن حذفها دون أنْ تختلّ بنية الرّسالة(أذكر أمثلة..).

2 ـ الاستطراد اللّغويّ: لعلّه يكون من أهمّ أنواع الاستطراد في الرّسالة إلى جانب الاستطراد السّرديّ، وترى فيه السّارد يفسّر الألفاظ المستعصية، ويُكثر من الشّروح اللّغويّة، ويُقدّم للكلمة مختلف المرادفات حسب اختلاف اللّهجات.

ب ـ الاستطراد الشّعريّ: يتجلّى من خلال الإكثار من الاستشهاد بالشّعر ممّا يحوّل الرّسالة من النّثر إلى الشّعر...

ج ـ الاستطراد النّقديّ: يتجلّى حين يتحوّل الخطاب من السّرد إلى الحوار، ومن القصّ إلى النّقد، وتُطرح القضايا الأدبيّة مثل الاختلاف في بعض المسائل الشّعريّة، والقضايا اللّغويّة، والعروضيّة والبلاغيّة.

د ـ الاستطراد الدّينيّ: نلمحه حين ينصرف السّارد إلى تناول بعض المسائل الدّينيّة، أو حين يستشهد بالآيات القرآنيّة ثمّ يُفسّر بعض الكلمات والمعاني.

- السخرية في رحلة الغفران ضحك يمتع القارئ :

رحلة الغفران فضاء يحقق للقارئ المتعة والالتذاذ بحكم ما توفر فيها من مشاهد أو أقوال أو مواقف... تثير الضحك وتولد الابتسام وأهم آليات الإضحاك:

أ - التفارق بين المكان المقدس والسلوك المدنس:

المكان هو الجنة وسلوك البطل والشخصيات يتميز بالغرابة والشذوذ (عربدة، مجون خصومات لفظية ومادية لواط جنس منادمات مجالس خمرية .....

ب - اختلال التوازن بين الفعل والجزاء:

أغلب الشخصيات فازت بالجنة بحجج واهية لامعقولة عبيد بن الأبرص ببيت شعر، الخطيئة لأجل كلمة صدق، الأعشى بقصيدة مدحية وشفاعة علي بن أبي طالب، ابن القارح بصلة التربية، وآخرون بالغفران الإلاهي والوساطة...) مفارقة عجيبة بين الجزاء والأسباب.

ج سخرية المشهد: قلب المواقف الجادة إلى مشاهد هزلية :

- يوم الحشر وهو يوم رهبة وخوف ينقلب فضاء للمزاحمة والتودد والتحيل والصراخ والعراك والفوضى..... رسي انشغال بعض الشخصيات يوم الحشر بالنقاش في مسائل أدبية وشعرية مثل النقاش الحاد مع أبي علي الفارسي الذي اتهمه الشعراء بالتجني عليهم في تأويله..... قال ابن القارح وكنت قد رأيت في المحشر شيخا لنا كان يدرس النحو في الدار العاجلة يعرف بأبي علي الفارسي وقد امترس به قوم يطالبونه ويقولون له: تأولت علينا وظلمتنا".

- رسم يوم الحشر في صورة سوق يعلو فيه الضجيج والصراخ والتراحم بين الناس والتودد إلى الرسول وعلي بن أبي طالب وفاطمة الزهراء التي قالت عن ابن القارح هذا رجل سأل فيه فلان وفلان، وسمت جماعة من الأئمة الطاهرين .....

- انقلاب نقاش في الشعر بين نابغة بني جعدة والأعشى إلى خصومة تطورت من العنف اللفظي بالسباب (الشتم) والتنابز وتبادل الاتهامات إلى العنف المادي فيضربه بكوز من ذهب".

- الرسم الكاريكاتوري الساخر صورة ابن القارح يعبر الصراط غير مستمسك متساقطا عن يمين وشمال أو صورته يقطع الصراط أيضا محمولا على ظهر جارية زقفونة

د - مفارقة المقام والمقال :

- ابن القارح يسأل أهل النار (المقام) رغم عذابهم القاسي عن الشعر وقضايا الأدب (المقال) - قال البطل إلى إمرئ القيس وهو في عذاب النار يا أبا هند إن رواة البغداديين ينشدون في قفا نبك هذه الأبيات بزيادة الواو في أولها.....

- توسل ابن القارح يوم الحشر (المقام) الشعر (المقال) طريقا للدخول إلى الجنة وذلك بتوددة إلى رضوان وزفر وحمزة قال حمزة عم الرسول لابن القارح ويحك، أفي مثل هذا الموطن تجيئني بالمديح ؟".

ه - مفارقة الصفة والسلوك والسن والفعل :

- مفارقة الصفة والسلوك ابن القارح شيخ يظهر الورع والوقار (الصفة) ولكنه يترشف رضاب جاريتين من الحور العين أو يعربد ويقيم مجالس الأنس والطرب أو يخاصم بفعل السكر أو يأمر بإقامة مجالس الأنس أو يختلس النظر إلى ردف جارية وهو ساجد....

- مفارقة السن والفعل ابن القارح شيخ هرم ضعيف (السن) ولكنه مع ذلك يهرول في الجنة هروبا من الأفعى التي دعته إلى خلوة أو يزاحم الناس ويضانكهم يوم الحشر حتى يصل إلى رضوان وزفر: قال البطل واصفا سلوكه يوم الحشر ثم ضانكت الناس حتى وقفت منه بحيث يسمع ويرى فما حفل بي ولا أظنه أبِهَ (اهتم) لما أقول".

سخرية اللفظ :

- تحققت سخرية اللفظ من خلال التورية. استعمال المعري ألفاظا تثير الالتباس بحكم أنها تؤدي المعنى ونقيضه مثل قوله عن رسالة ابن القارح قد وصلت الرسالة التي بحرها بالحكم مسجور لفظة مسجور ظاهريا تفيد الامتلاء وباطنيا تفيد الفراغ

- أسلوب التورية ينقل الدلالة من المعنى الظاهري البريء إلى المعنى الباطني الساخر.

- الإغراب اللغوي: استعمال أبي العلاء لألفاظ يثير نطقها الضحك لأجل غرابتها مثل: كفرطاب، زقفونة، جحجلول .....

السخرية في رحلة الغفران تنذر يفضح السائد :

لما كانت السخرية اختيارا أسلوبيا مقصودا فإن المعري التندر (التكلم بأسلوب ساخر) حدد جملة من المواقف من ذلك:

أ - المواقف الأدبية:

التحقيق في بعض القضايا اللغوية والنحوية والعروضية...

إبداء الرأي في الرواية والرواة : طرق قضية الانتحال الشعري.

تقييم بعض الأغراض الشعرية شعر الرجز والمدح وما يتبعه من تكسب. نقد المعري لشعراء الرجز الذين حولوا الشعر إلى صنعة سهلة واتهامه الشعراء المدح الذين اتخذوا الأدب حرفة ومهنة.

- فضح واقع النقد: انقلاب العملية النقدية للشعر إلى ممارسة مجانية مؤسسة على اعتبارات ذاتية أو أخلاقية أو أحكام انطباعية أو خصومات أفرغت النقد من دلالته وشرط الموضوعية وانعكاسات ذلك على الشعر

ب المواقف من معتقدات الناس :

- نقد معتقد الغفران: الإيمان بمعتقد الغفران يقلب الجزاء بالنعيم أمرا يسيرا بلوغه مما يشجع الناس على استهلاك حياتهم في اللذة والمتعة وارتكاب المعاصي. دخول بعض الشخصيات إلى الجنة ببيت شعر أو قصيدة مدح أو كلمة صدق...

موقف من معتقد الغفران السائد: رحلة الغفران رسالة ضد تصورات سائدة حول الغفران.

- نقد معتقد الشفاعة الإيمان بالشفاعة اعتراض على الحكم الإلهي وتدخل للإرادة البشرية في حدود الإرادة الإلهية حتى إبطالها - المشفوع له يكون أحيانا قد تقرر مصيره وهو النار. تشهير المعري بالخلفيات السياسية الشيعية لمعتقد الشفاعة.

- نقد معتقد عبور الصراط: تصوير المعري مشهد عبور الصراط تصويرا كاريكاتوريا ساخرا صورة ابن القارح محمول على ظهر جارية زقفونة التصور المادي لعبور الصراط أفرغه من كل قداسة وجرده من كل هيبة.

- نقد تصورات الناس ليوم الحشر: توهم الناس أن يوم الحشر هو اجتماع في فضاء ممتد المساحة هذا التصور قلب يوم الحشر إلى يوم أشبه بسوق حيث الزحام والضوضاء والجلبة والتراحم وانعدام النظام.....
- نقد تصورات الناس للقدرة الإلهية : توهم الناس أن الله في الآخرة إنما هو في خدمة أهل الجنة ينفذ رغباتهم ويحقق لهم شهواتهم أمثلة: أبو عبيدة اشتهى طاووسا من طواويس الجنة فيكون له ذلك في صفحة من الذهب، أبو ذؤيب الهذلي يشتهي أن يحتلب ناقة فقيض له الله ناقة يحتلبها، ابن القارح يخطر له ذكر الفقاع فيجري له الله أنهارا من فقاع .... هذا التصور اللامعقول للقدرة الإلهية أفقد الله كل قداسة وهيبة.
- نقد معتقد التعويض : فضح المعري توهم الناس بأن من أبتلي بعاهة أو محنة في الدنيا يعوض بأحسن منها في الآخرة التغيرات التي طرأت على الأعشى وزهير وحمدونة وتوفيق السوداء... المعري أميل إلى البعث الروحي خاصة وهو يعتبر الجسد سجنا للروح.
- نقد التصور الطبقي للجنة تشهير المعري بتوهم الناس أن الجنة طبقات (ودرجات على غرار الدنيا: "زهير له قصر من ونية والحطيئة له بيت كأنه حفش أمة راعية " ثنائية القصر والبيت تعكس التصور الطبقي للجنة.

ج المواقف الأخلاقية: السخرية في رحلة الغفران

فضح المعري للبؤس القيمي في عصره مجون عربدة لواط تهافت على اللذة المادية، قيان(جواري)، خلوات جنسية انهيار القيم وانقلاب المثل... - مجتمع القرن الخامس للهجرة مجتمع طلق الفضيلة وتهافت على الرذيلة مجتمع دينه اللذة وعملته النفاق.

د المواقف الاجتماعية والسياسية: السخرية في رحلة الغفران :

المواقف الاجتماعية فضح الطبقية وتدهور منزلة المرأة والوصولية والوشاية والسرقة.....

المواقف السياسية فضح تعصب الشيعة لآل البيت وتحكم الحاشية في الحكم والظلم السياسي وانصراف الراعي عن النظر في شؤون الرعية....

على سبيل الخاتمة:

أنشأ المعرّي رسالة الغفران في قالب رسالة مشتملة على أحداث قصصيّة بأسلوب ساخر ومتهكّم ليطرح العديد من القضايا والمواقف، والناظر إلى هذا النصّ من جهة هزليّته، يحار قبل الإقدام على مغامرة الضحك، سيما وهو يرى جوانب عدّة من ذاته في ابن القارح الأضحوكة، كما أن هذا النصّ يطرح العديد من القضايا العقائديّة التي لحقها التشويش، وهي وإن عمدت إلى زعزعة بعض هذه القناعات

إ

لاّ أنّها لم تقدّم أجوبة بقدر ما طرحت العديد من الأسئلة والتساؤلات معظمها سيبقى مرتهنا بالغيبيّات.